ملف جريدة النصر حول ملتقى القيم الجمالية للنص التربوي في الفكر الإسلامي

مختصون يكشفون في ندوة النصر عن تجلياتها

القيم الجمالية في الإسلام ترتقي بالمسلم إلى مرتبة الإحسان فكرا وسلوكا

لقد عكفت القيم الجمالية بغزارة في الكتاب والسنة وتشريع بها المسلمون ما جعلها تتجلى بعد ذلك على مستوى بناءهم الفكري و التربوي، الشرعي و الانساني، عند مختلف المدارس التربوية الفقهية والعقدية و الصوفية. وعند كبار المصلحين، لاسيما بالمغرب الإسلامي في عز الانتاج الحضاري الإسلامي للانعكاس الذي تلقى بانواره على الاجتهادات الجوهرية و الفكرية التي وسمتها. وقد اتسمت تلك القيم الجمالية بالشمولية، حيث شملت كل الجوانب المادية و الأدبية، حتى يلتقط بالمسلم مرتبة الإحسان التي تتجلى فيها القيم في كمالها، فتظهرت القيم في الصدق و المحبة و في السلوك البيني و مع الآخر وفي التعويض نثرا ونظما، وظلت متوسعة فكريا إلى العصر الحديث، رغم محاولات الاستعمار تحقير مخزونها، وفي هذا الملف الذي أعد على هامش ملتقى وطني حول القيم الجمالية للنص التربوي في الفكر الإسلامي" عقد مؤخرا بكلية أصول الدين بوهامة الأمير عبد القادر كشف مختصون من مظاهر هذه القيم في سيرة الفكر الإسلامي.

القيم الجمالية في الإسلام تتغلغل في المباني والمباني والمحسوسات

يمتد تجلي الجمال في الإسلام الأول وهلة يتصل بقيمتين للقاهير الجمالية الأساسية لا ينفصل عن جمال التصور و الاشكال أو الألوان و الإضاءات أو حتى مساحات الخطوط و الفراغ، أو حتى المساحة في الأعمال الفنية الثابتة و التعويضية وحتى هندسة زوار الحضور فيها من بعض تجليات الجمال الإسلامي، إلا أن الرقيب عندها لا يوصل إلى إدراك المعنى الحقيقي لهذا الجمال.

إن غاية المفاهيم الجمالية والنظر من خلالها إلى الجمال يفسر لنا سر توجه كثير من الدارسين العرب و المسلمين إلى البحث في هذا المجال من هذا الباب، وهو في تقديرنا يعم من غفلة ظاهرا من المعنى الحقيقي للجمال في الإسلام، ليس هذا غريبا في عالم تسوقه عولمة جميع القيم الجمالية بحيث لا نقصر أنه في أحد من الصعب نفسه يمكن أن نتكلم بسهولة على أنه يقلل ذريا الجمال في الحضارة الغربية وأصبح الباقي بالشكل المعين على أنه، وعملا، لا ليس هذا بالنسبي، المستغرب إذا علمنا أن كل هذا مرده إلى الإنسان الذي نسي المهد، و وقع في المتعة المهلكة و اغفلها أن الجمال في الإسلام لا يكون إلا جميلا، ظاهرا و لا أن يتوازنه مكانته كما هي في طبيعة الأمر في البنية الإسلامية، خاصة إذا كان هذا التناول يتم في نطاق النظرية القيمية الغربية الأوروبية.

إن التشويه الذي طال منظومة القيم الإسلامية عامة بما فيها ما يتصل بالجمال على وجه الخصوص على مستوى الممارسة للمثال خاصة بإطلاقه وإدراجه في دائرة القيم العالية ذات التوجه المثالي الجمالي، يستوجب العمل على إعادة هذا المفهوم و تخليصه من قفص جمال الشكل و الصورة، ليعيده إلى مجاله الأساسي، مجال القيمة التي يعاني بها جميعا من التجريد و الحصر في التصور، للتشاهد.

إن الجمال في الإسلام يرتبط ارتباطا وثيقا بالتصور، فكل ما يدعو إلى النظر فهو جميل، وكل ما يدعو إلى المتعة فهو قبيح، فكل ما يذكر بعهد الله تعالى فهو جميل، وكل ما يدعو إلى نسيان العهد فهو قبيح، فالله عز وجل يقول في محكم تنزيله: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (البقرة: 83).

إن الجمال في الإسلام لا يرتبط إذا كان هذا التناول يتم في نطاق النظرية القيمية الأوروبية.

إن التشويه الذي طال منظومة القيم الإسلامية عامة بما فيها ما يتصل بالجمال على وجه الخصوص على مستوى الممارسة للمثال خاصة بإطلاقه وإدراجه في دائرة القيم العالية ذات التوجه المثالي الجمالي، يستوجب العمل على إعادة هذا المفهوم و تخليصه من قفص جمال الشكل و الصورة، ليعيده إلى مجاله الأساسي، مجال القيمة التي يعاني بها جميعا من التجريد و الحصر في التصور، للتشاهد.

إن الجمال في الإسلام يرتبط ارتباطا وثيقا بالتصور، فكل ما يدعو إلى النظر فهو جميل، وكل ما يدعو إلى المتعة فهو قبيح، فكل ما يذكر بعهد الله تعالى فهو جميل، وكل ما يدعو إلى نسيان العهد فهو قبيح، فالله عز وجل يقول في محكم تنزيله: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (البقرة: 83).

الذوق الجمالي الأندلسي أثر في متصوفة الغرب الإسلامي

تعتبر مختلف الأندلس من أرقى وأجمل ما أنتجته الحضارة الإسلامية وقد مثلت الإسلام بجميع جوانبه الفكرية والاجتماعية وأعمالها وحتى الجمالية، فأصبحت بذلك مركز إشعاع حضاري ليس عند المسلمين فحسب بل تخطت ذلك لتلقي بظلالها على كل الحضارات الأخرى التي كانت مجاورة لها أثر على احتكاك دائم معها فساعدت في حضارتها قيم جمالية كان لها تأثير كبير لاسيما عند متصوفة الغرب الإسلامي.

لعل من أبرز العلماء والمفكرين الذين جعلوا الأندلس مادة للتزود من مختلف العلوم و المعارف، فقد كان علماء الغرب الإسلامي لاسيما بالمغرب الأوسط من أوائل المتأثرين بهذه الحضارة وذلك لقربهم الجغرافي والاجتماعي منها إذ كانوا يتنقلون معها العادات والثقافة و الأعراق، فظهت تلك الرحلة الأندلسية على تراثهم في مختلف مجالاته بدأ في ذلك التصوف و السلوك.

وقد برز هذا عند متصوفة الغرب الإسلامي الذين تأثروا من متصوفة المشرق بخصائص تفكيرهم الفلسفي والاجتماعي منها فكانوا يتمتعون بمذوق عميق فهرست ملامحه في تدابيرهم و سلوكهم هذا الذوق الذي يعد الروح في تراثهم الفكري والتربوي فكان له عالمية وتأثير في العالم فضلا عن الخاصة من الباحثين.

وقد ظهر ذلك جليا عند العلامة أبي مدين شعيب الصوفي كونه من الشخصيات الإسلامية البارزة و القوية في عصره ذات النزعة الأندلسية حيث يتجلى الذوق الجمالي في تراثه الفكري و التصوفي التربوي على وجه الخصوص، لما يشكل قوتها باعتبارها في عملية التربية تستلهم منها تلك القيم الجمالية لتتجلى في الخطاب الدعوي التربوي، فكون منهاجا تربويا يساهم في ملحقة التكثير من فضايا والعقبة الخاص.

طوفان الأقصى أدخل جماليات القيم الاتصالية الإسلامية في مواجهة مع سياسة «عمى الألوان» في الإعلام الغربي

إن القيم الاتصالية الإسلامية مع غير المسلمين، كما حددتها أحكام الشريعة الإسلامية في نصوصها واجتهادات الفقهاء المسلمين وتراثهم الفكري، أتاحت امكانيتهم بخلفية الأمم والحضارات والأديان، تتصف بالجمال من ثلاثة منطلقات:

الأول: هو الرقعية التي تجعل متصدره وثيقة الصلة، والتي أكدت على بناء دعائم من يمكننا ويعاني من بعدنا، العادل والتوازن في التعامل، وهي بعيدة كل البعد عن التعصب الذي يتنافى ويتعارض مع الذوق السليم والتسامح، ميزة أعطاها الله تعالى أكثر من يستوعبه التسبيح «لا نظام آلي عند الآلي سلاما على الأرض ما عند الآلي سلاما على سيفا وبارا والشاهادتين (14:11).

الثاني: وهو البر والإنصاف، مع من لا يعادي المسلمين ابتداءً لأيمان وأخلاقيات كثيرة، وأكده تاريخ الفتح الإسلامي.

الثالث: وهو العدل، مع الذات ومع الآخر وإن كان لا يمكن أن نجد إعلاما من مختلف إسلامي جيدا عن صدق الخبر وصدق الصياغة.

وصدق القصد وصدق الفكر وقد تعبر عن وجه الخير الفطري من خلال تاريخه الحضارية والقيمية للآخر المتعثر والمستضعف، ولا غرو أن يكون الإعلام الغربي غير المتوازن و المتحيز، هو الغبن، الكاشف لذلك عيوب الغرب، وقد أظهرت أحداث غزة منذ (7 أكتوبر 2023)، كل ما يكشف سياسة عمى الألوان الغربية المعتمرة Daltonisme Racial، وقد أفضت هذه السياسة إلى:

-التغطية الإعلامية الغربية المعتمرة للعدوان الأخير، فقد صرح الصحفي Owen Jones الإنجليزي في "الغارديان" قائلا من معتمرة الإعلام الغربي ضد الفلسطينيين، بأنه كان يحلم أن هناك نوعا من المعتمرة في تغطية إعلامية، «إشارة» الإعلام الغربي ميزا للأحداث المتعلقة في الشرق الأوسط وأفريقيا، وأشكه لو يتخيل أن تتجلى بهذا الوضوح الساطع في 2024.

-الترويج لمغالطات مضللة بخطاب مزور، لتحديد صحيفة "New york Times" مثلا عن الفشل بحق إسرائيل وغزة يوهم المتلقي بحرب بين معسكرين متساويين وهي أكاذيب تعمل لصالح إسرائيل.

- تفسير الأحداث تفسيرا منحازا تقول Esther Duflo بأن زميلتها Ben Ollerhaim تسج عناوين الصحف عند يقوم انفجار مستشفى بغزة في وقت كانت القذائف قليلة، وقد عرضت وسائل الإعلام العربية والإسرائيلية الفنية بتذكر مختلف لذلك.

تعبيرا تقريبا كان "الغزة الإسرائيلية على مستشفى تقتل 500 ضحية" بينما كان عنوان صحيفة التايمز أرف إسرائيل "القنبلة الإسرائيلي" انفجار المستشفى كان بسبب إطلاق صاروخ بين العالم العربي يتهم إسرائيل".

-تلف الغفلة على الأمر المتغلب على أسرة بقلب الإعلام الغربي المتقابل من دون أدنى شعور بالخجل، ويكفون كل التدمير والإبادة التي تقوم بها إسرائيل في حين تدين فرق هو عن الرد على إرهاب الفلسطينيين، وهو النقد العادل للضحايا لهم بسبب معاناتهم النفسية.

إن المجاز سات الإعلامية الغربية تفقد البعد القيمي الإنساني، فالمسؤولية الإعلامية تأتي من الشعور بالانتماء إلى هذا العالم من دون تعالي أو فقدم الآخر أيا كان لونه أو عرقه أو دينه.

مقال «الشباب» للإبراهيمي شاهد على حضور القيم الجمالية باكرا في كتابات الجزائريين المحدثين

لقد ظهر البعد القيمي الجمالي باكرا في العنصر الجديد عند الكتاب الجزائريين المتقدمين ذلك ظاهرا مثلا عند الإمام البشير الإبراهيمي، حينما قدم مقالة «الشباب الجزائري» كما أطلقه أي المراقب، شاهدا على ذلك فهذا المقال هو بداية كتابة واعية من القيم الجمالية التي يسعى الإبراهيمي بها لدى الشباب الجزائري، وهذا رفع هذا الشباب ليكون نموذجا يقتدى به مؤسسا بقراءته وعوده في قلب العلمي ومعه أساس كل المهمات، أمر العمل وترك الكسل، إذ لا قيمة للعمل من دون العمل وأن يتمتع بالأخلاق لأنها عنوان الإنسانية الفضلة، فبرأيه هو الشك رسول الله عليه وسلم وأن يحرص على تقوية أعماله وتهذيبه وأصالته حتى لا تذوب شخصيته، كما يحرص على حفظ الوقت وتقييم العمر، لأنه رأسمال الإنسان وأن يكون قوي الإيمان بالله، كما إيقاظ بتنبيه وأخيرا أن يقتدي الشاب ليكون نموذجا للأجيال من شباب الأمم الأخرى، وألا يتعثر

يوم 2024/11/16